Mesopotamian journal of Quran studies
Vol.2023, **pp.** 1–8
DOI: https://doi.org/10.58496/MJQS/2023/001; ISSN: 3005-9933
https://mesopotamian.press/journals/index.php/MJQS

رمي المحصنات في سورة النور دراسة تحليلية للآيات من ٢٢ – ٢٦

Throwing chaste women in Surah An-Nur, an analytical study for verses 22-26

عماد اكرم كردي [١،*]، محمد زيدي داود [٢]
[١] كلية الامام الأعظم الجامعة ، بغداد ، العراق.
[٢] قسم الشريعة والقانون.أكاديمية الدراسات الإسلامية.جامعة مالايا كوالالمبور ، ماليزيا.

Imad Akram Kurdi[1,*], Mohd Zaidi Daud [2]
1 Imam Al-A'zam University College, Baghdad, Iraq.
[2] *Department of Shariah and Law.Academy of Islamic Studies.Universiti Malaya. 50603.Kuala Lumpur, Malaysia*

الخلاصة

علوم القرآن الكريم هي أشرف العلوم؛ إذ هي مرتبطة بأقدس كتاب ألا وهو كتاب الله المجيد، وإن علم التفسير هو من أهم علوم القرآن الكريم، وتفسير القرآن الكريم له أشكال عديدة وأقسام متنوعة، منها التحليلي، والموضوعي، والإشاري، والفقهي، والأثري... وإن هذه الأنواع وُجدت منذ الأيام الأولى لظهور علم التفسير، إلا أنها لم تتبلور ولم تتحدد ملامحها إلا في العصور المتأخرة، حيث قسم العلماءُ التفسيرَ وبيّنوا مناهج المفسرين فيه، وإن علم التفسير التحليلي من أهم هذه الأقسام وأشهرها؛ إذ أن كثيرا من المفسرين - القدماء والمتأخرين - اعتبروه منهجا لهم في تفاسيرهم كالزمخشري والرازي، والآلوسي والزحيلي وغيرهم.

ABSTRACT

The sciences of the Holy Qur'an are the most noble of sciences. As it is linked to the holiest book, which is the glorious Book of God, and the science of interpretation is one of the most important sciences of the Holy Qur'an, and the interpretation of the Holy Qur'an has many forms and various sections, including analytical, objective, indicative, jurisprudential, and archaeological... and these types have existed since the early days. Due to the emergence of the science of interpretation, it did not crystallize and its features were not defined except in later eras, when scholars divided interpretation and explained the approaches of interpreters in it, and the science of analytical interpretation is one of the most important and famous of these divisions. Many commentators - ancient and recent - considered it their method in their interpretations, such as Al-Zamakhshari, Al-Razi, Al-Alusi, Al-Zuhayli and others.

Keywords
الكلمات المفتاحية
Accusing chaste women, adultery, accusation of adultery, evidence, testimony
رمي المحصنات ، الزنا، الاتهام بالزنا، البينة، الشهادة

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	**قبول النشر**	**النشر الالكتروني**
17/11/2022	09/01/2023	15/01/2023

١. مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإن علوم القرآن الكريم هي أشرف العلوم؛ إذ هي مرتبطة بأقدس كتاب ألا وهو كتاب الله المجيد، وإن علم التفسير هو من أهم علوم القرآن الكريم، وتفسير القرآن الكريم له أشكال عديدة وأقسام متنوعة، منها التحليلي، والموضوعي، والإشاري، والفقهي، والأثري... وإن هذه الأنواع وُجدت منذ الأيام الأولى لظهور علم التفسير، إلا أنها لم تتبلور ولم تتحدد ملامحها إلا في العصور المتأخرة، حيث قسم العلماءُ التفسيرَ وبيّنوا مناهج المفسرين فيه، وإن علم التفسير التحليلي من أهم هذه الأقسام وأشهرها؛ إذ أن كثيرا من المفسرين – القدماء والمتأخرين – اعتبروه منهجا لهم في تفاسيرهم كالزمخشري والرازي، والآلوسي والزحيلي وغيرهم.

*Corresponding author Kurdi_7u87@gmail.com

CC BY

وإني قد اخترت هذه اللون من التفسير كمنهج لكتابة بحثي هذا، واخترت عنوان (سورة النور من الآية ٢٣ – ٢٦ دراسة تحليلية) فقمت بجمع المادة العلمية للآيات القرآنية الكريمة، ثم عمدت إلى خطوات التفسير التحليلي فكان منهجي في البحث هو الآتي:

١. بدأت البحث، بمبحث بين يدي السورة الكريمة.
٢. قمت بتفسير المفردات اللغوية الغريبة في الآيات الكريمة، بالاعتماد على كتب اللغة وبعض التفاسير.
٣. قمت بإعراب ما أشكل من الكلمات، أو ما كان له تأثير في معنى الآية الكريمة.
٤. أوردت الأوجه البلاغية في الآية الكريمة، بالاعتماد على كتب التفسير التي تشير إلى هذا الفن.
٥. ثم أوردت المناسبة العامة للآيات الكريمة اعتمادا على كتب المناسبة المتوفرة، وأشهرها كتاب الإمام البقاعي.
٦. أوردت ما ظفرت به من أسباب النزول الخاصة بالآيات الكريمة
٧. أما فيما يخص المعنى العام للآيات الكريمة، فقد اعتمدت على أمهات كتب التفسير.
٨. وأخيرا أوردت الأحكام المستفادة من الآية الكريمة، وقد اعتمدت فيها على ما أورده وهبة الزحيلي في (التفسير المنير) إذ أنه أوجزها بطريقة جميلة مختصرة غير مخلة.

هذا، وإني لا أدعي لنفسي الكمال، فالكمال لله وحده، فأسأله تعالى أن ينفع به المسلمين، والحمد لله أولا وآخرا.

٢. المبحث الأول: بين يدي السورة

٢.١ المطلب الأول: تسميتها ومكية أم مدنية

سورة النور مدنية، وقال القرطبيّ: إن آية ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ﴾[١] مكية[٢]، وهي أربع وستون آية.[٣]

سميت سورة النور لقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ وحقيقة النور: ما تنكشف به حقيقة الأشياء على ما هي عليه، فالنور الظاهر الحسى تنكشف به الأشياء الحسية، والنور الباطن تنكشف به الأشياء الباطنية، كمعرفة الذات الأقدس، ومَا يُقرّبُ إليهَا من آداب العبودية. ومرجعه إلى ثلاثة: نور معرفة أحكام المعاملة، ونور اليقين، ونور المكاشفة. فالأول: نور الإسلام، وهو كنور النجوم، والثاني: نور الإيمان، وهو كنور القمر، والثالث: نور الإحسان، وهو كنور الشمس. ويسمى الأولان: نور التوجه، والثالث: نور المواجهة. وتتفاوت هذه الأنوار على قدر التوجه والتفرغ من شواغل الحس، فإذا أشرقت شمس العرفان لم يبقَ لنور النجوم ولا للقمر أثر لمحو وجود الأكوان في محل العيان، فصار الغيب شهادة، والتصديق معاينة، فانطوى الإيمان في وجود العيان.[٤]

٢.٢ المطلب الثاني: مناسبتها لما قبلها

المؤمنون: أولها: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}، وآخرها: ﴿ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ والنور: في أولها في النساء: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾، وفي آخرها في القواعد من النساء: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾.[٥]

ولما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾... " ثم قال تعالى ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾" استدعى الكلام بيان حكم العادين في ذلك، ولم يبين فيها، فأوضحه في سورة النور فقال تعالى: ﴿الزانية والزاني ...﴾ الآية[٦] ثم أتبع ذلك بحكم اللعان والقذف، وانجر مع ذلك الإخبار بقصة الإفك تحذيرا للمؤمنين من زلل الألسنة رجما بالغيب ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[٧] وأتبع ذلك بوعيد محبى شياع الفاحشة في المؤمنين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ...﴾[٨] الآيات ثم بالتحذير من دخول البيوت إلا بعد الاستئذان المشروع، ثم بالأمر بغض البصر للرجال والنساء، ونهي النساء عن إبداء الزينة إلا لمن سمى الله سبحانه في الآية وتكررت هذه المقاصد في هذه السورة إلى ذكر حكم العورات الثلاث، ودخول بيوت الأقارب وذوي الأرحام، وكل هذا مما يبرىء ذمة المؤمن بالتزام ما أمر الله به من ذلك والوقوف عند ما حده تعالى من أن يكون من العادين المذمومين في قوله تعالى: "فمن

---

[١] سورة النور: ٥٨.
[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٧/ ٣٠٧.
[٣] ينظر: جامع البيان للطبري: ١٧/ ١٣٦ ، تأويلات أهل السنة: ٧/ ٥٠٤ ، بحر العلوم: ٢/ ٤٩٤ ، الكشف والبيان: ٧/ ٦٢.
[٤] البحر المديد: ٤/ ٥.
[٥] مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: ٥٦.
[٦] آية: ٢.
[٧] آية: ١٥.
[٨] آية: ٢٣.

ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون " وما تخلل الآي المذكورات ونسق عليها مما ليس من الحكم المذكور فلاستجرار الآي إياه واستدعائه ومظنة استيفاء ذلك وبيان ارتباط التفسير، وليس من شرطنا هنا والله سبحانه يوفقنا لفهم كتابه.[١]

٢.٣ المطلب الثالث: فضلها

في هذه السورة أنس وشعور بالطمأنينة لأن المؤمن يرتاح للعفة والطهر، ويشمئز من الفحش وسوء الظن والاتهام، روي أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: «علّموا رجالكم سورة المائدة، وعلموا نساءكم سورة النور».[٢]

وقال حارث بن مضرّب رضي الله عنه: كتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تعلّموا سورة النساء والأحزاب والنور، وتعليم هذه السورة للنساء مروي أيضا عن عائشة رضي الله عنها.[٣]

٢.٤ المطلب الرابع: مشتملاتها

اشتملت هذه السورة على أحكام مهمة تتعلق بالأسرة، من أجل بنائها على أرسخ الدعائم، وصونها من المخاطر والعواصف، والتركيز على تماسكها وتنظيمها، وحمايتها من الانهيار والدمار. فكان مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والسّتر.

لقد بدأت ببيان حد الزنى، وحد قذف المحصنات، وحكم اللعان عند الاتهام بالفاحشة أو لنفي نسب الولد، من أجل تطهير المجتمع من الانحلال والفساد واختلاط الأنساب، وبعدا عن هدم حرمة الأعراض، وصون الأمة من التردي في حمأة الإباحية والفوضى.[٤]

ثم ذكرت قصة الإفك المبنية على سوء الظن والتسرع بالاتهام لتبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ومحاربة شيوع الفاحشة، وترديد الإشاعات المغرضة التي تهدم صرح الأمة، وتقوّض بنيتها التي ينبغي أن تقوم على الثقة والمحبة، والابتعاد عن وساوس الشيطان.

ثم تحدثت السورة عن باقة من الآداب الاجتماعية في الحياة الخاصة والعامة، وهي الاستئذان عند دخول البيوت، وغض الأبصار، وحفظ الفروج، وإبداء النساء زينتهن لغير المحارم مما يدل على تحريم الاختلاط بين الرجال والنساء غير المحارم، وتزويج الأيامى (غير المتزوجين) من الرجال والنساء، والاستعفاف لمن لم يجد مؤن الزواج، من أجل تحقيق الاستقامة على شريعة الله، وصون الأسرة المسلمة، ورعاية حال الشباب والفتيات، والبعد عن الفتنة.

ثم أبانت مزية تشريع الأحكام وأنه نور وهدى، وفضل آيات القرآن، ومزية بيوت الله وهي المساجد، وعدم جدوى أعمال الكفار وتشبيهها بالسراب الخادع أو ظلمات البحار. وأعقب ذلك تنبيه الناس إلى أدلة وجود الله ووحدانيته في صفحة الكون الأعلى والأسفل من تقليب الليل والنهار وإنزال المطر وخلق السموات والأرض، وخضوع جميع الكائنات الحية لله عز وجل، وطيران الطيور، وخلق الدواب ذات الأنواع العجيبة.

ثم انتقل إلى وصف مواقف المنافقين والمؤمنين الصادقين من حكم الله والرسول بإعراض الأولين وإطاعة الآخرين، ووعده تعالى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بالاستخلاف في الأرض.

ثم عادت الآيات لبيان حكم استئذان الموالي والأطفال في البيوت في أوقات ثلاثة، وحكم رفع الحرج عن ذوي الأعذار في الجهاد، وعن الأقارب والأصدقاء في الأكل من بيوت أقاربهم بلا إذن، واستئذان المؤمنين الرسول صلّى الله عليه وسلم عند الانصراف، وتفويضه بالإذن لمن شاء، وتعظيم مجلسه ومناداته بأدب جم وحياء وتبجيل يليق به وبرسالته.[٥]

٣. المبحث الثاني: تحليل الآيات

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) الْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ وَالطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ أُولئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)

٣.١ المطلب الأول: الكلمات الغريبة

---

[١] البرهان في تناسب سور القرآن: ٢٥٩.

[٢] شعب الإيمان للبيهقي، باب ذكر السبع الطوال، ٤/ ٧٧ برقم (٢٢٠٥) وذكره السيوطي في ((الدر المنثور)) (٤ / ١٢٠) وكذا في كنز العمال: ٢ / ٣١٤ برقم (٤٠٩٦) وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن: ١/ ١٢٩ من طريق عبد العزيز بن مسلم، عن حصين، به.

[٣] أورد الأثر السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ١٢٤ ، و الآلوسى في روح المعاني: ١٨/ ٧٤.

[٤] التفسير المنير للزحيلي: ١٨/ ١٢٠.

[٥] التفسير المنير للزحيلي: ١٨/ ١٢٠.

المحصنات: العفائف. والمحصنات: ذوات الأزواج التي أحصنهن أزواجهن.[١] و يعني البكر الحرة. سماها محصنة وإن لم تتزوج لأن الإحصان يكون لها وبها إذا كانت حرة. ولا يكون بالأمة إحصان.[٢]

الغافلات: العَفِيفَاتِ اللَّوَاتِي لَمْ تَخْطُرِ الفَاحِشَةُ بِقُلُوبِهِنَّ.[٣]

دينهم: الدّين: الجزاء. ومنه قوله تعالى: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٤] أي يوم الجزاء والقصاص. ومنه يقال: دنته بما صنع. أي جزيته بما صنع. وكما تدين تدان. والدّين: الحساب.[٥]

الخبيثون: فيها وَجْهَان، المعنى الكلمات الخَبيثَاتُ للخبيثين من الرجال، والرجال الخَبِيثونَ للكلمات الخبيثَاتِ، أي لا يَتكلَّم بالخبيثات إلا الخبيثُ من الرجال والنساء، ولا يتكلَّمْ بالطيبَاتِ إلا الطيبُ من الرجال والنساء، ويجوز أن يكون معنى هذِهِ الكَلِمَاتِ الخبيثات إنما تلصق بالخَبِيثين من الرجال والخبيثات مِن النِّسَاءِ، فأما الطَّاهِرَاتُ الطيبات فلا يلصق بِهِنَّ شيء. وقيل الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجَالِ وكذلك الطيبات من النساء، للطيبين من الرجال.[٦]

٣.٢ المطلب الثاني: الأوجه الإعرابية

(الغافلات، المؤمنات) نعتان للمحصنات منصوبان مثله وعلامة النصب الكسرة، و (الواو) في (لعنوا) نائب الفاعل (في الدنيا) متعلّق ب (لعنوا) ، (الواو) عاطفة (لهم) متعلّق بخبر مقدّم للمبتدأ (عذاب) . جملة: «إنّ الذين ... » لا محلّ لها استئنافيّة. وجملة: «يرمون ... » لا محلّ لها صلة الموصول (الذين) . وجملة: «لعنوا ... » في محلّ رفع خبر إنّ. وجملة: «لهم عذاب ... » في محلّ رفع معطوفة على جملة لعنوا.[٧]

قوله عز وجل: {يَوْمَ تَشْهَدُ} (يوم) ظرف لما تعلق به {لَهُمْ} وهو الاستقرار، لا لقوله: {عَذَابٌ} كما زعم بعضهم، لكونه قد وصف، أي: استقر لهم عذاب عظيم في ذلك اليوم، وهو يوم القيامة، ولك أن تنصبه على إضمار اذكر. وقوله: {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ} (يومئذٍ) يجوز أن يكون بدلًا من {يَوْمَ تَشْهَدُ}، وأن يكون معمول {يُوَفِّيهِمُ}. والجمهور على نصب قوله: {الْحَقَّ} وهو صفة للدِّين وهو الجزاء، وقرئ: بالرفع على أنه صفة {اللَّهُ} جل ذكره، والتقدير: (يوفيهم اللهُ الحقُّ دينهم)، قيل: وهكذا هو في مصحف أُبي رضي الله عنه.[٨] قوله تعالى: (لهم مغفرة) : يجوز أن يكون مستأنفا، وأن يكون خبرا بعد خبر.[٩]

٣.٣ المطلب الثالث: الأوجه البلاغية

١. الجناس الناقص بين {يَعْمَلُونَ} و {يَعْلَمُونَ} .
٢. المقابلة اللطيفة بين {الخبيثات لِلْخَبِيثِينَ. . والطيبات لِلطَّيِّبِينَ} .[١٠]

٣.٤ المطلب الرابع: سبب النزول

أخرج الطبراني عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: رُمِيتُ بِالَّذِي رُمِيتُ بِهِ وَأَنَا غَافِلَةٌ، فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدِي جَالِسٌ ثُمَّ اسْتَوَى قَاعِدًا وَمَسَحَ وَجْهَهُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَبْشِرِي» قُلْتُ: بِحَمْدِ اللهِ لَا بِحَمْدِكَ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ هَذِهِ الْآيَاتِ: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ} [النور: ٢٣] الْآيَاتِ.[١١]

وأخرج ابن جرير الطبري عن عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ) ... الآية، أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم خاصة.[١٢]

٣.٥ المطلب الخامس: المناسبة

{سورة} أي عظيمة؛ ثم رغب في امتثال ما فيها مبيناً أن تنويهاً للتعظيم بقوله: {أنزلناها} أي بما لنا من العظمة وتمام العلم والقدرة {وفرضناها} أي قررناها وقدرناها وأكثرنا فيها من الفروض وأكدناها {وأنزلنا فيها} بشمول علمنا {آيات} من الحدود والأحكام والمواعظ والأمثال وغيرها، مبرهناً عليها {بينات} لا إشكال فيها رحمة منا لكم، فمن قبلها دخل في دعوة نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي لقناه إياها في آخر تلك فرحمه خير الراحمين، ومن أباها ضل فدخل في التبكيت

---

[١] معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٦٠.
[٢] غريب القرآن لابن قتيبة: ١٢٤.
[٣] السراج في بيان غريب القرآن: ١٧٢.
[٤] سورة الفاتحة: ٤.
[٥] تأويل مشكل القرآن: ٢٥٣.
[٦] معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣٧.
[٧] الجدول في إعراب القرآن: ١٨/ ٢٤٦.
[٨] الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٤/ ٦٤١.
[٩] التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ٩٦٨.
[١٠] صفوة التفاسير: ٢/ ٣٠٩.
[١١] المعجم الكبير: ٢٣/ ١٢١ برقم (١٥٦).
[١٢] جامع البيان للطبري: ١٩/ ١٣٩.

بقولنا ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم﴾[١] ونحوه، وذلك معنى قوله: {لعلكم تذكرون} أي لتكونوا – إذا تأملتموها مع ما قبلها من الآيات المرققة والقصص المحذرة – على رجاء – عند من لا يعلم العواقب – من أن تتذكروا ولو نوعاً من التذكر – كما أشار إليه الإدغام – بما ترون فيها من الحكم أن الذي نصبها لكم وفصلها إلى ما ترون لا يترككم سدى، فتقبلوا على جميع أوامره، وتنتهوا عن زواجره، ليغفر لكم ما قصرتم فيه من طاعته، ويرحمكم بتنويل ما لا وصول لكم إليه إلا برحمته، وتتذكروا أيضاً بما يبين لكم من الأمور، ويكشف عنه الغطاء من الأحكام التي اغمت عنها حجب النفوس، وسترتها ظلمات الأهوية – ما جبل عليه الآدميون، فتعلموا أن الذي تحبون أن يفعل معكم بحب غيركم أن تفعلوه معه، والذي تكرهونه من ذلك يكرهه غيركم، فيكون ذلك حاملاً لكم على النصفة فيثمر الصفاء، والألفة والوفاء، فتكونوا من المؤمنين المفلحين الوارثين الداخلين في دعوة البشير النذير بالرحمة.[٢]

٣.٦ المطلب السادس: القراءات القرآنية

اختلفوا فى الياء والتاء من قوله ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر {يوم تشهد} بالتاء وقرأ حمزة والكسائى / يوم يشهد / بالياء.[٣]

قال الأزهري: قال أبو منصور: قال الفراء: مَنْ قَرَأَ بالتاء فلتأنيث الألسنة. وَمَنْ قَرَأَ بالياء فلتذكير اللسان، ولأن الفعل إذا تقدم كأنه للجمع. وأخبرني المنذري عن الحرافي عن ابن السكيت قال: سمعت أبا عمرو يقول: اللسان نَفْسُه يذكر ويؤنث. فمن أنث اللسان جمعهُ أَلْسُنًا، ومن ذكّره جمعه أَلْسِنةً. قال: وأكثر العرب على تذكير اللسان.[٤]

٣.٧ المطلب السابع: المعنى الإجمالي

قال سعيد بن جبير إن هذه الآية التي تضمنت لعن القاذف وتوعده الشديد إنما هي خاصة في رماة عائشة، وقال ابن عباس والضحاك وغيرهما بل هذه لجميع أزواج النبي عليه السلام، غلظ الله أمر رميهن لمكانهن من الدين، فلعن قاذفهن ولم يقرن بآخر الآية توبة ع وقاذف غيرهن له اسم الفسق، وذكرت له التوبة، وقالت جماعة من العلماء بل هي في شأن عائشة إلا أنه يراد بها كل من اتصف بهذه الصفة، وقال بعض هذه الفرقة إن هذه الآية نزلت أولا في القاذفين، ثم نزلت بعد ذلك الآية التي صدرت في السورة التي فيها التوبة، وقد تقدم القول في الْمُحْصَناتِ ما معناه، و «اللعنة» في هذه الآية الإبعاد وضرب الحد واستيحاش المؤمنين منهم وهجرهم. لهم وزوالهم عن رتبة العدالة، وعلى من قال إن هذه الآية خاصة لعائشة تترتب هذه الشدائد في جانب عبد الله بن أبي وأشباهه وفي ضمن رمي المحصنة رمي الرجل معها وقد يكون مؤمنا، والعامل في قوله يَوْمَ فعل مضمر يقتضيه «العذاب» أي يعذبونه يَوْمَ أو نحو هذا، وأخبر الله تعالى أن جوارحهم تشهد عليهم ذلك من أعظم الخزي والتنكيل فيشهد اللسان وقلب المنافق لا يريد ما يشهد به، وتشهد الأيدي والأرجل كلاما يقدرها الله عليه.[٥]

قال الزمخشري رحمه الله: وجزاه عن تفسيره الدقيق جدا للقرآن الكريم خير الجزاء: ولو فلّيت «١» القرآن كله، وفتّشت عما أوعد به العصاة، لم تر الله تعالى قد غلّظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعقاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه، على طرق مختلفة، وأساليب مفتنّة، كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث، لكفى بها، حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله، حتى يعلموا عند ذلك أن الله هو الحق المبين.[٦]

ثم أورد الله تعالى دليلا ماديا حسيا على براءة عائشة فقال: ﴿الْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ، وَالطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ..﴾ أي النساء الزواني الخبيثات للخبيثين من الرجال، والخبيثون الزناة من الرجال للخبيثات من النساء لأن اللائق بكل واحد ما يشابهه في الأقوال والأفعال، ولأن التشابه في الأخلاق والتجانس في الطبائع من مقومات الألفة ودوام العشرة. وذلك كقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾.[٧]

وعلى هذا يكون المراد بالخبيثات والطيبات النساء، أي شأن الخبائث يتزوجن الخباث، أي الخبائث، وشأن أهل الطيب يتزوجن الطيبات. ويجوز أن يكون المراد من الخبيثات الكلمات التي هي القذف الواقع من أهل الإفك، والمعنى: الخبيثات من قول أهل الإفك للخبيثين من الرجال، وبالعكس: والطيبات من قول منكري الإفك للطيبين من الرجال وبالعكس. وبما أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم درة الطيبين وخيرة الأولين والآخرين، فالصدّيقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات، فيبطل ما أشاعه أهل الإفك. ويكون الكلام جاريا مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب. والرأي الأول هو الظاهر.

---

[١] سورة المؤمنون: ١٠٥.
[٢] نظم الدرر: ١٣/ ٢٠٢.
[٣] السبعة في القراءات: ٤٥٤.
[٤] معاني القراءات: ٢/ ٢٠٥.
[٥] المحرر الوجيز: ٤/ ١٧٤.
[٦] تفسير الكشاف: ٢/ ٣٨٠ وما بعدها.
[٧] سورة النور ٣.

﴿أُولَئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي أولئك الطيبون والطيبات كصفوان وعائشة بعداء مبرؤون مما يقوله أهل الإفك والبهتان الخبيثون والخبيثات. وأولئك المبرؤون لهم مغفرة عن ذنوبهم بسبب ما قيل فيهم من الكذب ورزق كريم عند الله في جنات النعيم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً﴾.[١]

تشهد ألسنة بعضهم على بعض في ذلك اليوم، وقيل: تشهد عليهم ألسنتهم في ذلك اليوم بما تكلموا به وأيديهم وأرجلهم بما عملوا بها في الدنيا، وإن الله سبحانه ينطقها بالشهادة عليهم، والمشهود محذوف وهو ذنوبهم التي اقترفوها، أي: تشهد هذه عليهم بذنوبهم التي اقترفوها ومعاصيهم التي عملوها يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق أي: يوم تشهد عليهم جوارحهم بأعمالهم القبيحة ويعطيهم الله جزاءهم عليها موفرا، فالمراد بالدين هاهنا: الجزاء، وبالحق الثابت الذي لا شك في ثبوته. قرأ زيد بن علي «يوفيهم» مخففا من أوفى، وقرأ من عداه بالتشديد من وفى. وقرأ أبو حيوة ومجاهد «الحق» بالرفع على أنه نعت لله، وروي ذلك عن ابن مسعود. وقرأ الباقون بالنصب على أنه نعت لدينهم. قال أبو عبيدة: ولولا كراهة خلاف الناس لكان الوجه الرفع، ليكون نعتا لله عز وجل ولتكون موافقة لقراءة أبي، وذلك أن جرير بن حازم قال: رأيت في مصحف أبي «يوفيهم الله الحق دينهم» . وهذا الكلام من أبي عبيدة غير مرضي، لأنه احتج بما هو مخالف للسواد الأعظم، ولا حجة أيضا فيه، لأنه لو صح أنه في مصحف أبي كذلك جاز أن يكون دينهم بدلا من الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين أي: ويعلمون عند معاينتهم لذلك ووقوعه على ما نطق به الكتاب العزيز أن الله هو الحق الثابت في ذاته وصفاته وأفعاله، المبين المظهر للأشياء كما هي في أنفسها، وإنما سمي سبحانه الحق لأن عبادته هي الحق دون عبادة غيره. وقيل: سمي بالحق، أي: الموجود لأن نقيضه الباطل وهو المعدوم.[٢]

والظاهر والله أعلم أنها عامة في محصنة غافلة مؤمنة، والسيدة عائشة وأمهات المؤمنين داخلات فيها دخولا أوليّا، وعظم الجزاء لعظم الجرم، وعدم ذكر التوبة لا يمنع من قبولها فبابها مفتوح حتى للكفار. كيف ترمون بيت النبوة بهذا الإفك؟!! أو ما علمتم أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، وهذا حكم غالبي فالخبيث يكون للخبيثة، ولا يصح أن يتخلف هذا الحكم في أشرف بيت ومع أكرم خلق الله على الله. والطيبات من النساء كالسيدة عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين للطيبين من الرجال فالله يختار لكل فئة ما يناسبها ويليق بها، فلا يمكن أن يختار أخبث الخبيثات لأطيب الطيبين، وهذا قريب مما سبق في قوله: الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وعند بعضهم أن المراد الخبيثات والطيبات من الكلام للخبيثين والطيبين من الرجال والنساء، على معنى أن خبيث القول إنما يوجه للخبيث من الناس، والخبيث من الناس هو المستحق للخبيث من الكلام. أولئك المذكورون من الطيبين والطيبات مبرأون مما يقول الخبيثون والخبيثات.[٣]

٣.٨ المطلب الثامن: ما يستفاد من الآيات

أرشدت الآيات إلى ما يأتي من الأحكام:

١. إن الذين يرمون بالزنى أو الفاحشة النساء المحصنات العفائف، أو الرجال المحصنين قياسا واستدلالا أو يقذفون غيرهم، ومن هؤلاء عائشة وسائر زوجات النبي صلّى الله عليه وسلم، لعنوا في الدنيا والآخرة، واللعنة في الدنيا: الإبعاد وضرب الحد وهجر المؤمنين لهم، وإساءة سمعتهم، وإسقاط عدالتهم، وفي الآخرة الطرد من رحمة الله بالعذاب في جهنم. والأصح كما رجح المفسرون أن بقية أمهات المؤمنين في هذا الحكم وغيره كعائشة رضوان الله عليهن، فقاذفهن ملعون في الدنيا والآخرة، ومن سبّهن فهو كافر، كما ذكر ابن كثير.

٢. ولهم حكم آخر غير اللعنة وهو شهادة ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وتكلمهم يوم القيامة عند الحساب بما تكلموا به وبما عملوا في الدنيا.[٤]

٣. وحكم ثالث أيضا هو أن حسابهم وجزاءهم ثابت مستحق لهم بالقدر المستحق المناسب لعملهم أو قولهم لأن مجازاة الله عز وجل للكافر والمسيء بالحق والعدل، ومجازاته للمحسن بالإحسان والفضل.

٤. النساء الخبيثات للخبيثين من الرجال، وكذا الخبيثون للخبيثات، وكذا الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات. وهذا ما اختاره النحاس، وهو الظاهر. وقال مجاهد وابن جبير وعطاء وأكثر المفسرين: الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، وكذا الخبيثون من الناس للخبيثات من القول، وكذا الكلمات الطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول.

٥. دل قوله تعالى صراحة: أُولئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ على براءة عائشة وصفوان رضي الله عنهما مما يقول الخبيثون والخبيثات.[٥]

٤. الخاتمة

سميت سورة النور لقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ وحقيقة النور: ما تنكشف به حقيقة الأشياء على ما هي عليه

---

[١] سورة الأحزاب ٣١.
[٢] فتح القدير للشوكاني: ٤/ ٢١.
[٣] التفسير الواضح: ٢/ ٧٦٠.
[٤] التفسير المنير للزحيلي: ١٨/ ١٩٧.
[٥] التفسير المنير للزحيلي: ١٨/ ١٩٧.

في هذه السورة أنس وشعور بالطمأنينة لأن المؤمن يرتاح للعفة والطهر، ويشمئز من الفحش وسوء الظن والاتهام

اشتملت هذه السورة على أحكام مهمة تتعلق بالأسرة، من أجل بنائها على أرسخ الدعائم، وصونها من المخاطر والعواصف، والتركيز على تماسكها وتنظيمها، وحمايتها من الانهيار والدمار. فكان مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والسّتر.

ثم ذكرت قصة الإفك المبنية على سوء الظن والتسرع بالاتهام لتبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ومحاربة شيوع الفاحشة، وترديد الإشاعات المغرضة التي تهدم صرح الأمة، وتقوّض بنيتها التي ينبغي أن تقوم على الثقة والمحبة، والابتعاد عن وساوس الشيطان.

Funding:

This research was not funded by any institution, foundation, or commercial entity. All expenses related to the study were managed by the authors.

Conflicts of Interest:

The authors declare that there are no conflicts of interest to disclose.

Acknowledgment:

The authors wish to acknowledge their institutions for their instrumental support and encouragement throughout the duration of this project.

References

[1] Al-Samarqandī, N. b. M. b. A. Abū al-Layth. (n.d.). *Baḥr al-ʿulūm* (M. Maṭrajī, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Fikr, Retrieved from: https://quranpedia.net/book/15298

[2] Ibn ʿAjība, A. b. M. b. al-Mahdī al-Ḥasanī al-Anjarī al-Fāsī al-Ṣūfī. (1998). *Al-Baḥr al-madīd fī tafsīr al-Qurʾān al-majīd* (A. A. al-Qurashī Raslān & H. A. Zakī, Eds.). Cairo, Egypt, Retrieved from: https://shamela.ws/book/10273

[3] Al-Gharnāṭī, A. b. I. b. al-Zubayr al-Thaqafī Abū Jaʿfar. (1990). *Al-Burhān fī tanāsūb suwar al-Qurʾān* (M. Shuʿbānī, Ed.). Rabat, Morocco: Wizārat al-Awqāf wa-al-Shuʾūn al-Islāmiyya, Retrieved from: https://shamela.ws/book/1388

[4] Ibn Qutaybah, ʿA. b. M. al-Dīnawarī Abū Muḥammad. (2007). Taʾwīl mushkil al-Qurʾān (I. Shams al-Dīn, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, Retrieved from: https://shamela.ws/book/23596

[5] Al-Māturīdī, M. b. M. b. Maḥmūd Abū Manṣūr. (2005). *Taʾwīlāt ahl al-sunna* (M. Baslūm, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, Retrieved from: https://shamela.ws/book/95590

[6] Al-ʿUkbarī, ʿA. b. al-Ḥ. b. ʿAbd Allāh Abū al-Baqāʾ. (1976). Al-Tibyān fī iʿrāb al-Qurʾān (ʿA. M. al-Bajāwī, Ed., 2 vols.). Cairo, Egypt: ʿĪsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāʾuhu, Retrieved from: https://shamela.ws/book/22928

[7] Al-Zuḥaylī, W. (1991). *Al-Tafsīr al-munīr*. Damascus, Syria: Dār al-Fikr, Retrieved from: https://shamela.ws/book/22915

[8] Al-Ḥijāzī, M. M. (1992). *Al-Tafsīr al-wāḍiḥ* (10th ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Jīl al-Jadīd, Retrieved from: https://shamela.ws/book/23589

[9] Al-Ṭabarī, M. b. J. b. Yazīd Abū Jaʿfar. (2000). *Jāmiʿ al-bayān fī taʾwīl al-Qurʾān* (A. M. Shākir, Ed.). Beirut, Lebanon: Muʾassasat al-Risāla, Retrieved from: https://quranpedia.net/book/1397

[10] Al-Qurṭubī, M. b. A. al-Anṣārī Abū ʿAbd Allāh. (1964). Al-Jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān [also known as Tafsīr al-Qurṭubī] (A. al-Bardūnī & I. Aṭfīsh, Eds., 2nd ed., 20 vols. in 10). Cairo, Egypt: Dār al-Kutub al-Miṣriyya, Retrieved from: https://shamela.ws/book/20855

[11] Ṣāfī, M. b. ʿA. al-Raḥīm. (1997). *Al-Jadwal fī iʿrāb al-Qurʾān al-karīm* (4th ed.). Damascus, Syria: Dār al-Rashīd; Beirut, Lebanon: Muʾassasat al-Īmān, Retrieved from: https://shamela.ws/book/22916

[12] Al-Suyūṭī, ʿA. b. A. b. Abī Bakr Jalāl al-Dīn. (2011). Al-Durr al-manthūr fī al-tafsīr bi-al-maʾthūr (M. Maṭrajī, Ed., 8 vols.). Beirut, Lebanon: Dār al-Fikr, Retrieved from: https://shamela.ws/book/12884

[13] Al-Ālūsī, M. Shihāb al-Dīn Abū al-Faḍl. (1994). Rūḥ al-maʿānī fī tafsīr al-Qurʾān al-ʿaẓīm wa-al-sabʿ al-mathānī (ʿA. ʿA. ʿAṭiyya, Ed., 1st ed., 16 vols.). Beirut, Lebanon: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, Retrieved from: https://shamela.ws/book/22835

[14] Ibn Mujāhid, A. b. M. b. al-ʿAbbās Abū Bakr. (1980). *Al-Sabʿa fī al-qirāʾāt* (2nd ed., Sh. Ḍayf, Ed.). Cairo, Egypt: Dār al-Maʿārif, Retrieved from: https://shamela.ws/book/5530

[15] Al-Khuḍayrī, M. b. ʿA. (2008). *Al-Sirāj fī bayān gharib al-Qurʾān*. Riyadh, Saudi Arabia: Maktabat al-Malik Fahd al-Waṭaniyya, Retrieved from: https://shamela.ws/book/14531

[16] Al-Bayhaqī, A. b. al-Ḥ. Abū Bakr. (2003). *Shuʿab al-īmān* (ʿA. A. Hāmid & M. A. al-Nadwī, Eds.). Riyadh, Saudi Arabia: Maktabat al-Rushd, Retrieved from: https://shamela.ws/book/10660

[17] Al-Ṣābūnī, M. ʿA. (1997). *Ṣafwat al-tafāsīr*. Cairo, Egypt: Dār al-Ṣābūnī, Retrieved from: https://shamela.ws/book/8967

[18] Ibn Qutaybah, ʿA. b. M. al-Dīnawarī Abū Muḥammad. (1978). *Gharīb al-Qurʾān* (A. Ṣaqr, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, Retrieved from: https://shamela.ws/book/3259

[19] Al-Hamadhānī, al-Muntaǧab. (2006). *Al-Kitāb al-farīd fī iʿrāb al-Qurʾān al-majīd* (M. N. al-Fatīḥ, Ed.). Medina, Saudi Arabia: Dār al-Zamān, Retrieved from: https://shamela.ws/book/147312

[20] Al-Thaʿlabī, A. b. M. b. I. Abū Isḥāq. (2002). *Al-Kashf wa-al-bayān ʿan tafsīr al-Qurʾān* (A. M. b. ʿĀshūr & N. al-Sāʿidī, Eds.). Beirut, Lebanon: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, Retrieved from: https://shamela.ws/book/23578

[21] Al-Thaʿlabī, A. b. M. b. I. Abū Isḥāq. (2002). *Al-Kashf wa-al-bayān ʿan tafsīr al-Qurʾān* (A. M. b. ʿĀshūr & N. al-Sāʿidī, Eds.). Beirut, Lebanon: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, Retrieved from: https://shamela.ws/book/23578

[22] Ibn ʿAṭiyya, ʿA. b. G. Abū Muḥammad. (2002). *Al-Muḥarrar al-wajīz fī tafsīr al-kitāb al-ʿazīz* (ʿA. S. ʿAbd al-Shāfī, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, Retrieved from: https://shamela.ws/book/23632

[23] Al-Suyūṭī, ʿA. b. A. b. Abī Bakr Jalāl al-Dīn. (2005). *Marāṣid al-maṭāliʿ fī tanāsūb al-maqāṭiʿ wa-al-maṭāliʿ* (ʿA. al-ʿAskar, Ed.). Riyadh, Saudi Arabia: Maktabat Dār al-Minhāj, Retrieved from: https://shamela.ws/book/38158

[24] Al-Azharī, M. b. A. Abū Manṣūr. (1991). *Maʿānī al-qirāʾāt* (King Saud University, Center for Research in the Faculty of Arts, Ed.). Riyadh, Saudi Arabia, Retrieved from: https://shamela.ws/book/8229

[25] Al-Zajjāj, I. b. al-Sarī Abū Isḥāq. (1988). *Maʿānī al-Qurʾān wa-iʿrābuhu* (ʿA. ʿA. Shalabī, Ed.). Beirut, Lebanon: ʿĀlam al-Kutub, Retrieved from: https://shamela.ws/book/922

[26] Al-Ṭabarānī, S. b. A. Abū al-Qāsim. (n.d.). *Al-Muʿjam al-kabīr* (H. b. ʿA. al-Salafī, Ed.). Cairo, Egypt: Maktabat Ibn Taymiyya, Retrieved from: https://shamela.ws/book/1733

[27] Al-Biqāʿī, I. b. ʿU. Abū al-Ḥasan Burhān al-Dīn. (1995). *Naẓm al-durar fī tanāsūb al-āyāt wa-al-suwar* (ʿA. G. al-Mahdī, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya. , Retrieved from: https://quranpedia.net/book/15742